

## تصحيح وإيضاح

عن مقال للدكتور محمد عمارة

في مجلة «الطهال»  
بعنوان

### دعوات التجديد السلفية

تفضل معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي ورئيس مجلس إدارة دار الملك عبد العزيز بالإيعاز إلى الدارة أن تقوم بنشر هذا التصحيح والإيضاح والذي سبق أن أعدته الدارة في مجلتها «الدارة» وبهذا يتم النفع الذي ينشده الجميع. والدارة إذ تستجيب فإنها تشكر لمعاليه اهتمامه بها ومجلتها، وحرصه على إحاطة الحق.

في مقال بعنوان «دعوات التجديد السلفية» نشر في مجلة «الغلال» في عدد إبريل ١٩٨٢ بقلم الدكتور «محمد عارة» تعرض الكاتب «للوهاية». وإذا تجاوزنا عن تسمية دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذا الاسم فإننا نجد الكاتب قد أنصف الدعوة حين قال:

«وكان التوحيد الخالص، كما بشرت به الوهاية إسهاماً في إعادة روح الخير والاستقلال إلى البناء الحضاري لأمتنا على جبهة العقائد والشعائر الدينية». وحين قال:

«والوهاية كامتداد للفكر السلفي الراجح لتأثيرات الفلسفة اليونانية في حضارتنا قد تبنت إبداع أعلام السلفية». وحين قال:

«وعلى هذه الجبهة الفكرية كانت الوهاية كامتداد للفكر الفلسفي إسهاماً في الجهد المبذول كي تستعيد الأمة هذه القسمة من قسبات استقلالها الحضاري». غير أن كاتب المقال قد أساء إلى «الوهاية» بغير حق في سياق نفس المقال:

«... فمثلاً حين عرض كاتب المقال لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر أن الشيخ قد هاجم «القياس» حتى لو كان صحيحاً، ورفض أن يحتكم لغير النصوص كان الواجب على كاتب المقال أن يبرز أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد فتح باب الاجتهاد الذي كان معلقاً — ولو أنه كان اجتهاداً مقبلاً — ويعتمد على نصوص القرآن والسنة الصحيحة.

«... وحين تحدث الكاتب عن الجبهة الفكرية وعن «الوهاية» كامتداد للفكر السلفي قال: «... إن تكن بداوة يشنها وفكر الفكر الفلسفي عند أعلامها قد جعل إسهامها على هذه الجبهة متمثلاً في رفض التبعية، مع المعجز عن الإبداع في بلورة البديل!» فهل هناك بديل أحق وأشرف وأنبأ من إعادة صلب الحياة بنفس الصيغة الإسلامية القديمة أيام الإسلام الأول والسلف الصالح؟

«... وقد ألصق كاتب المقال «بالوهاية» تهمة هي بريئة منها حين قال: «... وجاءت الوهاية محكومة بأوضاع يشنها البدوية فرفضت «التقدم» عامة، كجزء من

رفضها ذلك القنن الغربي الذي كان يسئل إلى عالم الإسلام.

والحق أن «الوهابية» حتى من أيام الدولة السعودية الأولى لم ترفض ما يسميه كاتب المقال بالقنن رفضاً مطلقاً، وإنما رفضت منه — وما زالت ترفض — ما يتعارض مع تعاليم ديننا الحنيف. وديننا — كما هو معلوم — لا يرفض ارتقاء الإنسان بوسائل حياته المادية بل هو يشجع عليها طالما هي لا تبعد الإنسان عن جوهر الدين. فإذا أخذنا جانباً واحداً من جوانب «القنن» وهو أساليب القتال مثلاً فإننا نرى أن جيوش «الوهابيين» حتى من أيام الدولة السعودية الأولى كانت تستخدم في القتال — ضمن ما تستخدم — البنادق التي تضرب بالفتيلة، وهي سلاح (غربي)، بل إنهم حينما غنموا بعض المدافع في حروبهم ضد «محمد علي» فإنهم قد حاولوا استخدامها في حروبهم ضده.

وإذا كان الكاتب في هذا الصدد قد امتشهد بالنسبة لما يسميه بسلبية «الوهابية» على جبهة العقائدية والقنن بعبارة للشيخ محمد عبده فأغلب الظن أن هذه السمعة قد لحقت «بالوهابيين» في أنحاء العالم الإسلامي نتيجة للتشويه الذي كان في كثير من الأحيان متعمداً لأسباب سياسية، وفي أحيان أخرى نتيجة لشطوط بعض زعمائهم في فهم الدين مما أدى بهم إلى الخطأ في فهمه كما حدث بعد ذلك مثلاً من رفض بعض زعماء «الإخوان» عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م استخدام السيارات والتلفونات والتليفون باعتبار أنها من أعمال السحر، وغنى عن البيان أن هؤلاء كانوا قلة، ولم يكونوا متفهمين في الدين بقدر ما كان يقودهم الحماس لما ظنوه الدين الصحيح بدليل أن المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود قد استطاع بعد هذا أن يقيم دولة ناهضة على أساس من الدين القويم، ومن الإنجازات المدنية العصرية التي أيده فيها العلماء المتفقهون في الدين.

أما قول كاتب المقال بأن ما دفع بالوهابية إلى الإيغال في درج رفض القنن إنما هو خطؤها الشديد بين ما هو «دنيا» وما هو «دين» فذلك نظرة علمانية تفصل بين الدين والدنيا. وهي ليست من الإسلام الحق. ولما أخطأ تاريخية وقعت في المقال ونسبته إليها:



عبد العزيز الـام دولة تأسست على أساس من الدين القويم والانتجازات المعاصرة

— جاء أن سنة ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتاريخ الميلادي هي سنة ١٧٠٠ والصحيح أنها سنة ١٧٠٣ م.

— ذكر كاتب المقال بأن عثمان بن معمر قد تعهد للشيخ بأن ينصر دعوة لا إله إلا الله، وأن يسخر قوته لانتلاع عقائد الشرك ورموزه مقابل أن «يملكه الله نجداً وأعرابياً». ورغم أن عثمان بن بشر في تاريخه «عنوان الحمد» قد أورد هذه المقالة إلا أنه أوردتها بصيغة أخرى وهي أن الشيخ عندما قدم إلى المدينة ودعا عثمان بن معمر إلى اتباع ما قام به ودعا إليه، وقرر له التوحيد، وحاوله على نصرته (أي حثه على نصرته) قائلاً (أي الشيخ): «إني لأرجو إن أنت قلت بنصرة لا إله إلا الله أن يظهره الله تعالى وتغلك نجداً وأعرابياً».

فإذا الكلام كان مجرد أمل للشيخ، ورجاء منه إلى الله سبحانه أن يعلى قدر ابن معمر إذا قام بنصرة «لا إله إلا الله».

وليس المراد أن عثمان بن معمر قد تعهد للشيخ بأن ينصر دعوة لا إله إلا الله، مقابل أن يملكه الله نجداً وأعرابياً، كما أورد كاتب المقال. ذلك لأن الشيخ لم يكن

بملك من أمر نفسه شيئاً حتى يعد ابن معمر بملكية نجد وأعرابها، وإنما كل ما بملكه هو أن يتوجه إلى الله بالدعاء والرجاء أن يفتح الله على ابن معمر ويعلي قدره ويملك نجداً وأعرابها إذا نصر دعوة التوحيد.

— لا تقبل قول كاتب المقال إنه بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود أخذ يعرض دعوته على حجاج بيت الله وزوار قبر الرسول قتل هذه الصيغة في القول ونعني بها «عرض دعوته» تنطبق على رسول الله الكريم وحده، فضلاً عن أن في هذا القول خطأ تاريخياً كذلك فالصحيح أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب كان في مكة المكرمة والمدينة المنورة قبل هذا التحالف بفترة، وإن كان هذا لا يمنع أن الشيخ كان قد صرح في هذين المكانين الكريمين ببعض أفكار دعوته وبخاصة رفضه للبدع الشركية.

وأما بعد أن تم هذا التحالف فقد كان أكبر الجهد مبذولاً في نصير أهل الأماكن التي أخذ الجيش السعودي بغزوها — بالإسلام الحق، وهؤلاء بدورهم تحولوا إلى مجاهدين.

— لا نستطيع أن نقر كاتب المقال وهو يقول: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يقود الجهاد بنفسه في طليعة جيش ابن سعود، والصحيح أنه — رحمه الله — هو الذي كان يجهز الجيوش ويبعث السرايا.

— ومن الخطأ قول الكاتب بأن «الوهابية» قد بقيت دعوة تسمى لإقامة الدولة حتى تيسر لها ذلك في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين أي في زمن الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود — غفر الله له — فهذه هي الدولة السعودية الثالثة. ومعلوم أنه بنهاية الدولة السعودية الأولى قامت الدولة السعودية الثانية لفترة بدأت من عهد الإمام تركي بن عبد الله ثم ابنه فيصل بن تركي حين قدم إلى الجبل هارباً من مصر، ثم حاصر الرياض بعدها ودخلها عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م.

— ويحتاج إلى المناقشة قول الكاتب بأن «الوهابية» في المجال الفكري «قد شجعت — إسلامياً — شرعية ولاية العثمانيين على العرب، عندما تبئت وأبرزت موقف أغلب فقهاء الإسلام — ومنهم فقهاء السلفية — المنحاز لضرورة توافر شرط

العروبة القرشية فيمن يتولى منصب الخليفة والإمام... في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية أوضح أحد أتباع الشيخ موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من موضوع الإمامة وفيه جاء — ضمن ما جاء — إن الإمام المثالي يجب أن يكون حراً ذكراً عادلاً يعرف الشريعة، ويقدر على إدارة الشؤون الاجتماعية للأمة وإذا توافرت هذه الصفات في واحد من قريش فإنه أولى بها ... بمعنى أن دعوة الشيخ السلفية لم تشترط أن يكون الإمام قرشياً. كما أن مجموعة التوحيد النجدية قد أثبت رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه في أن طاعة الحاكم واجبة وإن كان جائراً أو فاسقاً، وأن أمره يجب أن يتبع ما دام لم يأمر بمعصية، كما أن دعوته للجهاد يجب أن تلبى دون تردد.

فالدعوة السلفية. إذاً — لم تصطدم بالعثمانيين لمجرد أنهم عثمانيون غير عرب بل لأن العثمانيين قد أجازوا كثيراً من البدع الشركية التي قامت الدعوة من أجل محاربتها، ثم لأن العثمانيين هم الذين بدأوا الدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية بالقتال. فالمعروف تاريخياً أنه لم يكن هناك أي وجود حقيقي للعثمانيين في نجد أيام قامت الدعوة بل ربما أن العثمانيين لم يتبنوا أو يتبنوا بقيامها، ولكن حين رأوها تنشط وتتوسع خافوها، فحرضوا ولائهم في العراق والشام على محاربتها، فلما عجزوا كلفت الدولة العثمانية واليا على مصر «محمد علي» بذلك.

ومن الخطأ المطبوعي ما وقع في كتابة اسم أمير العينة على أنه عثمان بن أحمد بن معمر وصحته «عثمان بن محمد بن معمر».

وأياً كان فإن المقالة في جملتها ليس بها ما يشين أو يسيء للدعوة ولأنتمها ومن ناصروها عن قصد، وأن ما ورد بها من أخطاء يبدو أنها اجتهادات شخصية غير متعمدة من الكاتب.

والجدير بالذكر أنه قد صدر لنفس الكاتب وهو الدكتور «محمد عازار» كتاب جديد نشرته دار الهلال كذلك في سلسلته الشهيرة المسماة بكتاب الهلال بعنوان «تيارات البقعة الإسلامية الحديثة» في شوال ١٤٠٢ هـ / أغسطس ١٩٨٢.

ويبدأ الكاتب كتابه هذا بالحديث عن تيارات التجديد السلفية: الوهابية والسوية والمهدية.

ويقول وهو يعرض لأول هذه التيارات بعنوان «الوهابية ... الإسلام العربي ...»  
 الخلافة العربية». عن عثمان بن محمد بن معمر رئيس العينة — بعد أن كان قد  
 استجاب لدعوة الشيخ ونصره في هدم قبة زيد بن الخطاب في الجيلة: (على صفحة  
 ٣٠ من هذا الكتاب) «... ثم أعقبت هدمها هزة نفسية في صفوف الأعراب،  
 هددوا بها حاكم «العينة» بالتمرد على سلطانه إن هو ناصر دعوة ابن عبد الوهاب،  
 فوزان الحاكم بين ما ييده من السلطة وبين ما وعده ابن عبد الوهاب منها في المستقبل  
 وبين الثواب عند الله، فاختار العاجل على الآجل، والدنيا على الآخرة، وتخلّى عن  
 نصرة التجديد والتوحيد، أو بالأحرى تخلّى عن الأسلوب العنيف لابن عبد الوهاب  
 في نصرة الدعوة، وطلب إليه أن يغادر العينة فراراً بنفسه قبل أن يقتك به الغاضبون  
 هدم قبة زيد بن الخطاب».

والحق أن المصادر الأصلية عن تاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته  
 ونعني منها هنا «عنوان المجد في تاريخ نجد» للمؤرخ الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر  
 و«روضة الأفكار والأفهام...» للشيخ حسين بن عثمان تجمع على أن السبب الذي  
 جعل عثمان بن معمر يطلب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مغادرة العينة إنما هو أمر  
 سليمان بن محمد رئيس بني خالد والأحساء لعثمان بقتل الشيخ أو إجلاله عن بلده ولم  
 تكن لعثمان طاقة على مخالفة أمر سليمان بن محمد أو قدرة على حربه، ثم إننا لا نفهم  
 معنى لقول الكاتب الدكتور محمد عمار «... أو بالأحرى تخلّى عن الأسلوب العنيف  
 لابن عبد الوهاب في نصرة الدعوة...» فهل يقصد الكاتب بهذا الأسلوب العنيف ما  
 قام به الشيخ من هدم القباب وقطع الأشجار التي كان الناس يشتركون بها أو حتى  
 رجم الزانية المحصنة التي اعترفت بجرمها غير مكروه. وواضح بالطبع أن هذا كله إنما  
 يدخل في باب التطبيق العملي للدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإعمال التوحيد  
 الحق على النحو الذي جاء به الإسلام الحق فواضح أن القيام بمثل هذه الأعمال لا  
 يسمى استخدام أسلوب عنيف.

ويقول الدكتور محمد عمار في آخر هذا المبحث «الوهابية: الإسلام العربي...»  
 والخلافة العربية» على ص ٣٣ من الكتاب «... لكن دعوة ابن عبد الوهاب لم تمت  
 بهزيمة دولتها فلقد عاشت، بل وعادت في مرحلة تالية فأقامت دولتها من جديد،  
 ولكنها ظلت، دعوة ودولة في شبه الجزيرة العربية وحدها، ودون أن تنعدها ... لقد

كانت تجديداً للإسلام، وطلبة يقظة أهله على عتبة العصر الحديث، والدعوة إلى عروبة الخلافة والدولة بعد أن استأثر بها الأتراك قرابة ثلاثة قرون ... ولكن آفاقها المحدودة، وفكرتها المحافظة، وأساليبها البدوية العنيفة قد أبقت عليها حركة تجديد وبقظة لأعراب شبه الجزيرة وحدهم، فاختصت بهم، واختصوا بها، وانفردوا وحدهم بهذا الشرف من دون المسلمين!

وفي هذا القول ما هو صحيح وما هو غير صحيح. فالصحيح أن دعوة الشيخ لم تمت بهزيمة الدولة السعودية الأولى، وأنها عادت في مرحلة تالية فأقامت دولتها من جديد. والصحيح أنها كانت تجديداً للإسلام، وطلبة يقظة أهله على عتبة العصر الحديث. ولما أنها كانت دعوة إلى عروبة الخلافة والدولة بعد أن استأثر بها الأتراك قرابة ثلاثة قرون فقد سبق وأن ناقشنا هذه النقطة في مقالنا هذا.

وأما غير الصحيح فهو وصف الدكتور محمد عماره لآفاق الدعوة بأنها كانت محدودة وأن فكرتها كانت محافظة. نعم عتبت الدعوة بموضوع رئيسي هو إعمال التوحيد ونشر الإيمان به إيماناً واسعاً مبرهاً من كل شائبة، إلا أن التطبيق السعودي الحالي لهذا قد أثبت عملياً وبما لا يقبل الشك أن هذا لا يحول دون الإفادة من ثمرات العلم الحديث وتطبيقاته، والارتفاع بمستوى حياة الإنسان مادياً بدون التضحية بطبيعة الحال قيد أنملة بحجائه الروحية، والقول بأن فكرتها كانت محافظة لا يعيبها إذا كانت المحافظة تعني المحافظة على الإسلام: نصاً وروحاً. ولما عن وصف أساليبها بأنها بدوية عنيفة، فقد سبق لنا هنا أيضاً أن نقضنا هذا الوصف.

ومن الخطأ قول الكاتب الدكتور محمد عماره، بأن الدعوة كانت حركة تجديد وبقظة لأعراب شبه الجزيرة وحدهم، فاختصت بهم، واختصوا بها، وانفردوا وحدهم بهذا الشرف دون المسلمين. ولعل الكاتب إذا رجع إلى المصادر والمراجع التي أرزحت للدعوة يتبين له أنها بالفعل قد انتشرت خارج الجزيرة العربية بالرغم من العوامل السياسية الكبيرة التي كانت تقف ضد هذا الانتشار فظهر أثرها الواضح في شبه القارة الهندية، وفي أندونيسيا، وفي غرب أفريقيا، كما ظهر أثرها في بعض أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، بل وأثرت في الحركات الدينية التي لحقها مثل السنوسية والمهدية .. ولغة كتاب أصدرته دار الملك عبد العزيز بعنوان «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية»، يمكن أن يكون فيه ما يعين الدكتور محمد عماره على تصحيح مفهومه هذا عن انتشار الدعوة. والله الموفق...